إليه العناية فلنلبس معانينا أحلى ما لدينا من ألفاظ ، ونظهرها في أجمل ما نستطيع من الصور . ولا يعني هذا أبداً أن نقلّل من شأن اللغة أو نحطّ من قيمة الأداة التعبيرية ، ولكنه يعني عدم المغالاة في أمرها إلى الحدّ الذي يدخل الضيم معه على المعاني والأفكار .

ولشدّ ما يعجبني بهذا الصدد قول الآمدي « إن حُسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسناً ورونقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد » . وكذلك كان الجرجاني يعطي لكل من المعنى واللفظ ما يستحقه ؛ فبعد أن تحدث بإسهاب عن الجناس والسجع منبهاً على أن الأساس في كل ذلك إنما هو « أمر المعاني ؛ كيف تختلف وتتفق ، ومن أين تجتمع وتفترق »[1] عاد ليبيّن أن هذه المعاني لا بد لها من معارض بها تظهر ، وأن لهذه المعارض أو الصور اللفظية قيمة لا تنكر ؛ فقد تزيد في قيمة المعاني وترفع من شأنها[2] ، ولذلك فلا بد من شرح منزلة هذه الصور بالنسبة إلى المعاني ، وهو يرى أن « أول ذلك وأولاه ، وأحقّه بأن يستوفيه النظر ويتقصّاه القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة .. »[3] .

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٥

(٢) أسرار البلاغة : ٢٦